العربية ووكدت على دور الحركات العامـــة . وأخيرا يتطلب سبيـــل الوحدة الرابع المسيطر حاليا توحيد العالم العربي عن طريق تعبئة الموارد واستخدامها في مشروعات التنمية المشتركة .

ويلاحظ المرء في كل من المراحل الاربع الآنفة الذكر وجود اتجاه يعارض النظـــرية السائدة ، ولكنها عادت فكسفته . فالنظرة التعاقدية ، على سبيل المثال ، عارضها الطموحون ، والنظرة التقدميـــة عارضها المحافظون ، والنظـــرة الثورية عارضها الاصوليون ، والنظرة العملية عارضها الاندماجيون .

وفي ما يتعلق بتأثير حرب تشرين (اكتوبر) على الوحدة العربية ، فان عرض الجانب العربي ما كان ليكون مثيرا للاعجاب الى هذا الحد لولا قدرته على تحاشي الخلافات من أجل الاهداف المشتركة . وقد أثبتت هـــذه السياسة صحة خطـــة عمل عبدالناصر الستراتيجية التي كانت تؤثر الفكرة القائلة بأن « الوحدة هي الطريق الى فلسطين » على الفكرة القائلة بأن « فلسطين هي الطريـــق الى الوحدة » . ودون التنسيـــق السياسي ـــ العسكري للسياسات الذي سبق تشرين الاول (اكتوبر) واستمر الى ما بعده ، لما كانت نتيجة الحرب اختلفت اختلافا كبيرا عـــن الحروب العربيـــة ـــ الاسرائيلية السابقة .

وبالاضافة الى الرغبة في معالجة القضايا القومية بصورة مشتركة ، عكست اقامة الجسور بين المعسكرين العقائديين المتحـــاربين الحقائق الاجتماعية ـــ الاقتصادية المتحولة في المنطقة . فالزيادة الحادة في دخل البلدان العربية المنتجة للنفط ، وبخاصة بلدان شبه الجزيرة العربية ، رافقتها زيادة في القوة المالية والعسكرية والسياسية . فبحلول أواخر الستينات لم تعد الانظمة المحافظة في مركـــز دفاعي ازاء الانظمـــة التقدمية . وكان في قدرتها أن تحدّث اقتصاداتها وبروقراطياتها المدنية دون الاضطرار الى تغيير أنظمتها السياسية . وكانت بحبوحتها كافية لتخفيف الاضطراب الاجتماعي الداخلي ولتحييد النقاد في الخارج . فالتبرعات المالية السنوية التي قدمتها العربية السعودية والكويت وليبيا لمصر وسوريا ساعدت ، منذ مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧ ، على سبيل المثال ، في تليين موقف التقدميين العرب .

ويقف العالم العربي اليوم على مفترق الطرق . وتتنافس التيارات والاتجاهات فيما بينها للسيطرة : الرغبة في المحافظة على التقاليد ، والرغبة في اللبرالية والرغبة في التثوير . وتتقاسم التيارات الثلاثة حاسة مهمة تاريخية للعالم العربي . فيتصورها التيار الاول في تأسيس مجتمع عربـــي مسلم ، والتيار الثـــاني في مجتمع علماني ـــ ديموقراطي ، والتيار الثالث في ثورة وحدوية عربية ذات محتوى اشتراكي. وفي الوقت الحاضر اندمجت المدرستان الليبرالية والمحافظة بدافع المحافظة على الذات لتقترحا توجها عمليا غير عقائدي للمشكلات العربية . وقد تتحقق جهودهما بالنظر الى التدفق الضخم لايرادات النفط التي تزودها بالوسائل المادية لتحقيق رؤياهما . بيد انه من غير المحقق انهما يملكان الطاقة والتصميم للاضطلاع بمثل هذه المهمة . فالشكوك العميقة الجذور ، والفوارق المحلية ، والخاصيات الشخصية وقحة طبقـــة الموظفين العرب تعرض عقبات خطيرة لا بد من التغلب عليها فيما بعد .

وبالاضافة الى حاسة المهمة التاريخية وغريزة المحافظة على الذات ، لا بد للتحالف المحافظ ـــ الليبرالي من أن يحسب حساب الارادة الشعبية التي تمارس الضغط عليه باستمرار للعمل . والامتناع عن فعل هذا الامر قد لا يبقي للعالم العربي الا خيار الثورة الثالث .